الباب الثاني

شخصيتك تحدد مصيرك

تجمع شخصية رن تشنغ السمات المشتركة للكثير من الصينيين؛ فالبيئة المحيطة والتجارب المتشابهة تلعب دورًا في تشكيل شخصية أبناء الجيل الذي عاشوا في هذه البيئة، ولكن اختلاف التجارب التي يمر بها كل إنسان تؤدي إلى اختلاف شخصيته، فكل إنسان تتشكل شخصيته حسب التجارب التي مر بها، والظروف التي عايشها. الانطباع الذي يتركه رن تشنغ في في نفوس غيره أنه إنسان عملي واقعي ومدير ذو شخصية فريدة. وعلى الرغم من تسرعه وحزمه في اتخاذ القرارات، إلا أنه لم يؤثر على نظرة منافسيه له؛ حيث يعتبرونه منافسًا قويًّا تصعب هزيمته. ومع كل ذلك، فهو إنسان صادق في تعامله مع غيره، يهتم بمشاعر غيره، كما يؤمن بمسئولية الإنسان تجاه مجتمعه، وأهمية مراجعة الذات وتطويرها .. إنه بلا شك إنسان غير عادي. فنجاجات هواوي وثقلها ترجع إلى جمال شخصيته. فرن تشنغ في إنسان وقور واسع المعرفة، ولا يحجب التواضع الذي يتحلى به شعاع الحكمة الذي ينبثق منه. ومن الممكن فهم النجاحات المبهرة التي حققتها هواوي في قطاع الاتصالات إلى تمتعه بهذه الموهبة.

***

الفصل الأول
الحياة مليئة بالصعاب - أيام الصبا

ينحدر أجداد رن تشنغ في من محافظة بوجيانغ بمقاطعة تشجيانغ. ولد في عام 1944 بقرية تقع بمنطقة جبلية فقيرة بمحافظة تشننينغ بمنطقة آنشون بمقاطعة قويتشو، ويوجد في هذه المنطقة شلال هوانغ قوه شو المشهور عالميًّا. اشتهر جده بمهارته في تمليح وتجفيف لحم الخنزير، ولم يلتحق أعمامه وعماته بالمدرسة، إلا أن والده - بسبب إصرار والده وإدراك جده لأهمية التعليم - أتاح لأبيه فرصة للدراسة. أما والدته فقد تخرجت من المدرسة الثانوية، ولكنها - بفضل تشجيع والده لها - واصلت تعليمها عبر التعلم الذاتي، حتى صارت معلمةً في إحدى المدارس الإعدادية.

كان للأسرة تأثير كبير في حياة رن تشنغ في. فأسر المثقفين في الصين تهتم كثيرًا بتحصيل العلم والمعرفة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أحد معايير الرجولة الثلاثة: "أن الفقر وتدني الطبقة الاجتماعية للإنسان لا يضعفان إراة الرجل القوية". فحتى خلال فترة الكوارث الطبيعية التي استمرت

لثلاث سنوات، كان والداه يقتطعان من قوت يومهما؛ من أجل استمراره في التعليم.

ظل رن تشنغ في يعيش في حالة الفقر المدقع هذه حتى في فترة شبابه. فأفراد أسرته التسعة كانوا يعيشون على دخل الوالدين المحدود، أضف إلى ذلك أن والده كان يرسل بعض النقود إلى جده في القرية؛ لتعينه على المعيشة. وقد وصلت حالة الفقر التي كانوا يعيشون فيها إلى أنهم كانوا ينامون معًا تحت لحاف واحد، ويطبخون الطعام على الكانون. وفي خلال فترة تواجده مع أسرته لم يرتدِ قميصًا قط، حتى في فصل الصيف كان يرتدي الملابس الثقيلة؛ لأنه كان لا يملك غيرها. وبحكم أن العديد من إخوته كانوا في مرحلة الدراسة، لذا كلما يحين وقت سداد الرسوم الدراسية، كانت ملامح الانشغال والقلق تبدو على وجه والدته التي كانت تستعير من هنا وهناك حتى تعول الأسرة، وفي أغلب الأحيان لم تكن تجد من يعيرها.

على الرغم من كل هذه الظروف الصعبة التي تعيش فيها الأسرة، إلا أن والداه أصرا على أن يعلما أبناءهما السبعة، ولم يطلبا من واحد منهم التخلي عن دراسته .. نعم .. تعد أسرة رن تشنغ في من الطبقات الفقيرة في المجتمع، فوالده لا يمتلك مالًا ولا سلطةً تساعده على إيجاد فرصة

عمل، إلا أنهما منحاه الحب والرعاية، وغرسا فيه حب العلم والمعرفة. وكان لذلك أثره في تشكيل شخصيته التي تعلي من قيمة العلم والمعرفة، ولا تهتم كثيرًا بالشهرة والمصلحة.

شهدت قويتشو عام 1960 مجاعة شديدة. كان رن تشنغ في وقتها طالبًا في المدرسة الثانوية، تركت هذه المجاعة ذكريات مؤلمة لم ينسها قط. ومن أجل التغلب على ظروف المجاعة تلك، لم يترك أفراد الأسرة وسيلة إلا ولجئوا إليها لتوفير الطعام؛ من زراعة اليقطين إلى قطف ثمار النباتات البرية، ومن سلق جذور النباتات إلى تطبيق نظام قاس جدًّا لتوزيع حصة كل فرد في الأسرة من الطعام، ويرجع رن تشنغ في السبب وراء نجاة أسرته من هذه المجاعة إلى والده؛ فوالده لم يكن أنانيًّا، بل كان معطاءً، آثر أسرته على نفسه، وأضاف قائلًا: تعلمت من أبي العطاء والبذل وإيثار الغير. وكان لذلك الأثر الكبير في النجاحات التي حققتها هواوي. كما تعلم الصبر على الشدائد والاقتصاد وعدم التبذير؛ بسبب أيام المجاعة تلك التي مرت بها أسرته.

ككل أبناء الفقراء ذوي الطموحات والهمم العالية، لم يخيب رن تشنغ في رجاء والديه فيه. فخلال الأشهر الثلاثة التي سبقت امتحان الالتحاق بالجامعة .. كانت والدته تجهز له كل يوم كعكة ذرة صغيرة يأكلها؛ لتعينه

على مراجعة دروسه وخوض الامتحانات. وتمكن رن تشنغ في في التاسعة عشرة من عمره من الالتحاق بكلية الهندسة المعمارية بتشونغتشينغ (التي التحقت بجامعة تشونغتشينغ الآن)، حاملًا آمال والديه معه، ولكن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن.

اندلعت الثورة الثقافية الكبرى في الصين، حينما كان رن تشنغ في طالبًا في المرحلة الجامعية، وتجدر الإشارة إلى أن القطاع التعليمي والمنتسبين إليه عانوا – معاناة شديدة – خلال تلك الفترة، حيث تم حبس والده – الذي كان يعمل أستاذًا – في زريبة بقر. وعندما اشتد الصراع والتوتر عام 1967، تشبث رن تشنغ في بالقطار ليعود إلى البيت ويرى والديه، إلا أن أعضاء فريق شنغهاي الثوري اعتدوا عليه ودفعوه خارج القطار؛ مما اضطره إلى النزول من القطار في مدينة تبعد عن المدينة التي يعمل فيها والداه بعدة كيلو مترات، قطعها سيرًا على الأقدام، إلى أن تمكن إلى العودة إلى البيت في منتصف الليل. وعلى غير المتوقع، لم يشعر بتلك السعادة التي يشعر بها الإنسان عند التئام شمل الأسرة. فقد كان والده قلقًا من أن يتأثر مستقبل ولده بما لحق به؛ لذا طلب منه صباح اليوم التالي مباشرةً مغادرة المنزل والعودة إلى كليته. وخلال لحظة الوداع خلع الوالد حذاءه الجلدي القديم، وأوصاه قائلًا: تذكر أن المعرفة قوة .. عليك الاجتهاد في الدراسة، إياك أن تتبع الغوغاء.

وعندما عاد إلى تشونغتشينغ، كان المناخ العام للثورة الثقافية الكبرى متوترًا جدًّا، ولكنه لم يتأثر بذلك، فقد كان يقضي معظم أوقاته في الدراسة والتعلم. وخلال تلك السنوات، استطاع - من خلال التعلم الذاتي - دراسة علم الحاسوب الإلكتروني، وعلم التقنية الرقمية، والتحكم الأوتوماتيكي، وغيرها من العلوم. كما تعرف على بعض الأساتذة في جامعة المواصلات بشيآن، الذين أهدوه نسخًا مطبوعة لبعض الكتب، كما تعلم كذلك علم المنطق والفلسفة وثلاث لغات أجنبية.

يمكن القول إن الحياة الشاقة التي عاشها في صباه، خلقت منه إنسانًا قويًّا صبورًا، وساعده ما مر به من أحدث خلال تلك الفترة على النضوج السريع.

لا يعتقد رن تشنغ في أن ولادة الإنسان في أسرة فقيرة أمر مخجل؛ لذا يهتم بأبناء الأسر الفقيرة، فيعطي المتقدمين منهم فرصًا أكثر؛ وذلك لإيمانه بأنهم قادرون على تحمل الصعوبات والمشاق، كما أنهم قادرون على الصمود أمام الفشل والمحن. وقام بعد ذلك بتأسيس صندوق خاص لمساعدة الطلبة الفقراء. وحتى الآن ما زال رن تشنغ في يحافظ على أسلوب الحياة البسيطة القائم على الاقتصاد وعدم التبذير.

***